عبد الناصر..
الفعل .. والفاعل!

obeikan.com

obeikan.com

يهتم التاريخ « بالفعل » .. وتهتم الصحافة « بالفاعل » !

وهذه – ولاشك – قسمة ظالمة .. فلا فعل بدون فاعل ، كما أنه لا فاعل بدون فعل

وفي كتاب « مصر » الذي يروي فصولًا من تاريخها الحديث ، نجد الكلام متواصلًا ، بل معادًا ومكررًا ، عن « الثورة » ولا كلام عن « الثائر » وكأنها كانت نبتا شيطانيا انشقت عنه الأرض تحت أقدامنا- فجأة وبدون مقدمات سابقة.

صحيح أن هناك كلامًا كثيرًا عن الظروف الموضوعية التي أدت إلى قيام الثورة ذات صباح من أيام شهر يوليو عام ١٩٥٢ ، ولكن هذه الظروف الموضوعية لم تكن جديدة على مصر ، فقد كان هناك الاحتلال ، والظلم ، والفساد ، والفقر ، والجهل ، والمرض ، منذ أن وضع الله « مصر » على خريطة العالم ، فما الذي حدث إذن لتقوم الثورة في هذا الوقت بالذات وعلى هذا النحو الذي جاءت عليه ؟

ثم ن بلادًا كثيرة قريبة منا وبعيدة – كانت تعاني من نفس الظروف ، وربما أكثر منها حدة ، ومع ذلك فإنها اختارت طرقا أخرى للتغير غير الثورة التي سلكتها مصر طريقًا نحو أهدافها في التغير.

فماذ يا ترى جعل مصر تسلك هذا الطريق ، وبهذه الطريقة ، ولم تسلكه غيرها من البلاد التي كانت تسير في نفس الاتجاه والوجهة ؟

لابد إذن من أن هناك – بالإضافة إلي الظروف الموضوعية ظروفًا « ذاتية » خاصة . هي التي وضعت أمامنا مثل هذه الاختلافات والفروق بين ما رأينا في مصر في هذه المرحلة بالذات وبين ما كنا نراه فيها في مراحل سابقة ، فضلًا عن الاختلافات والفرق بين ما رأيناه يحدث في مصر ، وبين ما رأيناه يحدث في بلاد أخرى.

هذا الظرف « الذاتي » يتلخص في كلمة واحدة هي « جمال عبد الناصر » .. لهذا كنت – ولا أزال – مؤمنًا بأنه لا يمكن فصل « الفعل » عن الفاعل » ، ولا « الثورة » عن الثائر » .. ولا « الموضوع » عن « الذات » .

ماذا لو أن عبد الناصر كان « باشا » ينحدر من أصول تركية أو شركسية – وما أكثر هؤلاء في الجيش المصري في ذلك الوقت ؟

ماذا لو كان عبد الناصر قد واصل دراسته في كلية الحقوق وتخرج منها محاميا أو حتى قاضيا في أفضل الأحوال؟

ماذا لو أنه مات في المظاهرات الطلابية التي شارك فيها طالبا عام ١٩٣٥ – وقد أصيب فيها بالفعل في جبهته .. أو على أفضل تقدير كان قد فقد إحدى عينيه ؟

ألا تعني الإجابة « بنعم » عن تلك الأسئلة ، أن أمورًا كثيرة في مصر والعالم كانت ستتغير ؟

هل كانت ثورة يوليو ستقوم . على هذا النحو الذي رأيناها عليه ؟

في يقيني أن « السيرة » تؤثر في «المسيرة» .. و« المسار » في « المعيار » أو المصير .

وعشرات العلماء في مجال علم النفس لا يخطئون حين يضع الواحد منهم في بؤرة اهتمامه التاريخ الخاص ، أو العائلي ، لواحد من المرضى يعاني من عقدة صغيرة مثل عقدة « الذنب » أو « الخوف » – فماذا لو كان الأمر متعلقًا بزعيم غير خريطة العالم من حوله ؟ ألا يكون جديرًا باهتمام أكبر ، خاصة إذا كان تاريخه « الخاص » أو « العائلي » سيساهم في علاج كثير من العقد التي تحدث عنها كثير من خصومه !!

لعل ذلك كان هو السبب في أنني أقدمت على إجراء هذه « الحوارات عن عبد الناصر ».. فقد كان هدفي من إجرائها أن أقدم المادة العلمية اللازمة لعلماء

التاريخ – وعلماء النفس أيضا – ليفهموا على ضوئها حقيقة التصرفات والخطوات التي اتخذها هذا « الثائر » في إطار الثورة التي خطط لها ونفذها .. لعلهم يجدون فيها تفسيرًا واضحًا- ومقنعا أيضا – لسلوك عبد الناصر ، بعد أن أعياهم البحث عن .. تفسيرات مبهمة . وتخريجات ملتوية. !

و لعلي قد وفقت .. والله الموافق

سليمان الحكيم

القاهرة / ٩٣

obeikan.com